

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية العلوم الإسلامية

الإمام الشريفة

أبو جعفر الهاشمي البغدادي

(المتوفى ٤٧٠ هـ)

ومكانته العلمية

إعداد :

الأستاذ الدكتور عماد أموري جليل الزاهدي

أستاذ الفقه المقارن في قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

في كلية العلوم الإسلامية / جامعة ديالى

(المقدمة)

الحمد لله الذي أشرقت بنور وجهه الظلمات ، وقامت به الأرض والسموات ،
والصلاة والسلام على أفضل الخلق ، ورسول الحق ، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين
وإمام المتقين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، ومن اهتدى
بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن من رحمة الله تعالى بالناس أن قيّض لهذه الأمة رجالاً علماء
جهابذة خدموا هذا الدين خدمة حسنة مخلصة ، إذ خدموا أصوله وفروعه وكل ما هو
من الشرع وملازم له ، ولم يدّخروا جهداً في ذلك كله في شتى بقاع الأرض . وإن بلدنا
الغالي العراق كان وما يزال منارةً يشع نوره على العالم أجمع ، حيث كان ومازال ينبج
العديد من العلماء في شتى فنون العلم والمعرفة ، ولاسيما العلوم الشرعية .

وإن من بين علماء العراق البارزين الجهابذة ، والرجال الربانيين الذي كان علماً
من أعلام الأمة الإسلامية ، وإمام من أئمة المذهب الحنبلي الإمام الشريف أبو جعفر
عبد الخالق بن عيسى الهاشمي البغدادي (ت ٤٧٠هـ) . وبالنظر لما يتمتع به هذا
العالم الجليل من مكانة علمية بارزة ، فقد اشتغل بالفقه الحنبلي ونشره ودرسه ودافع
عنه بالأدلة والبراهين من خلال التدريس والمناظرات والتأليف ، فأصبح رئيساً للحنابلة
وللفقه الحنبلي في زمانه . ولعدم معرفة الكثير من الناس لهذا العالم الجليل اخترته
ليكون مدار بحثي الذي أسميته : (الإمام الشريف أبو جعفر الهاشمي البغدادي (ت
٤٧٠هـ) ومكانته العلمية) .

وقد تناولت من حياته الشيء القليل ، والنزر اليسير ، فأخذت من كل جانب
من جوانب حياته إنموذجاً صغيراً ؛ لأنني لا أستطيع أن أحصر الكتابة عن حياة هذا
العالم الجليل ، والإمام الشريف من خلال هذه العجالة .

وقد قسمت بحثي على : مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة . تناولت في المقدمة :
أهمية الموضوع ، وسبب اختياري له ، وتقسيمي له . والمبحث الأول : تناولت فيه سيرة
الإمام أبي جعفر الهاشمي الذاتية . والمبحث الثاني : تناولت فيه سيرة الإمام أبي
جعفر الهاشمي العلمية .

أما الخاتمة ، فقد لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث

(المبحث الأول : سيرة الإمام أبي جعفر الهاشمي الذاتية)

١. اسمه : عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ^(١).
٢. كُنْيته : (أبو جعفر) . وقيل : (ابن أبي موسى) ^(٢).
٣. لقبه : (الشريف) ، لكونه من بني العباس عليهم السلام عم النبي صلى الله عليه وآله لذلك لقب بهذا اللقب ^(٣).
٤. ولادته : ولد الشريف أبو جعفر سنة : (٤١١ هجرية) في بغداد ^(٤).
٥. أسرته : لم أعثر فيما بين يدي من المصادر على أي ترجمة لأسرة الشريف أبي جعفر الهاشمي . سوى ما ذكرته بعض المصادر عن أخ له اسمه : الشريف أبو الفضل محمد بن عيسى ، وكان من كبار الحنابلة ، توفي بعد الشريف أبي جعفر بقليل . وأخته التي توفي في بيتها ، ولم تذكر تلك المصادر أي شيء عنها ^(٥).
- ويبدو أن عدم شهرتهم ، ولا ذكرهم في المصادر يدل على أن أسرة الشريف أبي جعفر أسرة لم تظهر على العلن ، ولم تشتهر ، ولم يكونوا من أصحاب المناصب ، فإن البيت كله بيت ورع وزهد .
٦. ورعه ومناقبه : كان الإمام أبو جعفر الشريف ورعاً زاهداً في الدنيا محتاطاً لأمر الآخرة ، أتته الدنيا ولم يردها ونبذها وراءه .
- و لما احتضر القاضي أبو يعلى أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر ، لمكانته وفضله .

^(١) ينظر: طبقات الحنابلة ٤٣٩/٣ ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣١٥/٨ ، سير أعلام النبلاء

٥٤٦/١٨ ، البداية والنهاية ١١٩/٢ ، شذرات الذهب ٣٠٣/٥ .

^(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٤٦/١٨ ، البداية والنهاية ١١٩/١٢ ، طبقات الحنابلة ٤٣٩/٣ ،

المنهج الأحمد ٣٨٨/٢ .

^(٣) ينظر: المنهج الأحمد ٣٨٨/٢ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢٩/١ .

^(٤) ينظر: المقصد الأرشد ١٤٤/٢ ، طبقات الحنابلة ٤٣٩/٣ .

^(٥) ينظر: حاشية ذيل الطبقات ٤٥/١ - ٤٦ .

وبالرغم من مكانته من الخلفاء ، إلا أنه ليس له بهم حاجة ، ولا طلب منهم شيء . فحينما احتضر الخليفة القائم بأمر الله ، قال : يغسلني عبد الخالق ففعل ، ولم يأخذ منه شيئاً مما هناك . فقيل له : قد وصى لك أمير المؤمنين بأشياء كثيرة . فأبى أن يأخذ . فقيل له : فقميص أمير المؤمنين نتبرك به . فأخذ فوطه نفسه فنشفه بها ، بل حتى أنه نسي منزره وحمل إليه بعد ذلك ، وقال : قد لحق هذه الفوطه بركة أمير المؤمنين ، ثم استدعاه في مكانه المقتدي ، فبايعه منفرداً . وكان أول من بايع . حتى أن أبا محمد التميمي قال : ما حسدت أحداً إلا الشريف أبا جعفر من ذلك اليوم ، وقد نلت مرتبة التدريس ، والتذكير ، والسفارة بين الملوك ، ورواية الحديث ، والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام .

ولم يشهد له أنه شرب ماء في حلقة على شدة الحر ، ولا غمس يده في طعام أحد من أبناء الدنيا ، ومات ولا يملك إلا دلواً وحبلأً وشيئاً ليس له قدر ، حتى عياله ترك رعايتهم لأبي عبد الله بن جرادة التاجر الكبير الحنبلي ، لورعه وزهده في الدنيا وأهلها ^(١).

وهذا ظهر جلياً من خلال وصيته التي كتبها ، وهي كما يقول القاضي أبو الحسين : (جاءت رقعة بخط الشريف أبي جعفر وصيته إلى أبي عبد الله بن جرادة وفيها مالي : يشهد الله سوى الحبل والدلو ، وشيء يخفى علي لا قدر له ، والشيخ أبو عبد الله إن رعاكم بعدي ، وإلا فالله لكم . قال تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ^(٢) ، ومذهبي الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وما عليه مالك وأحمد والشافعي ، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم ، والصلاة بجامع المنصور إن سهل الله تعالى ذلك عليهم ولا يعقد لي عزاء ، ولا يشق علي جيب ، ولا يلطم خد فمن فعل ذلك فالله حسيبه ^(٣) .

والملاحظ من وصيته : أنه كان زاهداً بحق ، فلم يكن له مال سوى الدلو والحبل ، وهو قد عرضت عليه الدنيا فأبأها ، وبين مذهب ما عليه الأئمة مالك ،

(١) ينظر: ذيل طبقات ٣٣/١ - ٣٦ ، المنهج الأحمد ٣٩٠/٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٤٤/١ - ٤٥ ، المنهج الأحمد ٣٩٤/٢ .

والشافعي ، وأحمد ؛ وهو على الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، أي ليس من أهل الرأي ، وأوصى بالصلاة عليه في جامع المنصور ، وأوصى أهله بعدم اللطم والعويل وشق الجيوب عليه لأنها من المنكرات وتبرأ الى الله منها .

ومما يروى من مناقبه : أنه في سنة أربع وستين وأربعمائة اجتمع الشريف أبو جعفر ومعه الحنابلة في جامع القصر ، وادخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه ، وطلبوا من الدولة قلع المواخير ، وتتبع المفسدين والمفسدات ومن يبيع النبيذ ، وضرب دراهم تقع بها المعاملة ، فتقدم الخليفة بذلك ، فهرب المفسدات ، وكبست الدور ، وأريق الأنبذة ، ووعدوا بقلع المواخير ، ومكاتبة عضد الدولة برفعها ، والتقدم بضرب الدراهم التي يتعامل بها ، فلم يقنع الشريف ولا أبو إسحاق بهذا الوعد ، وبقي الشريف مدة طويلة متعباً مهاجراً لهم ، وبعد مدة من سنة ست وستين وأربعمائة غرقت بغداد وجرى على دار الخلافة العجائب ، وهم في غاية التخبط رأى الشريف محمداً وكيل الخليفة . فقال له : يا محمد ، فقال له : لبيك يا سيدنا . فقال له : قل له : كتبنا وكتبتم وجاء جوابنا قبل جوابكم . يشير الى قول الخليفة سنكاتب في رفع المواخير ويريد بجوابه الغرق وما جرى فيه (١).

فكان الشريف الناصح للعامة ، والناصح للخلفاء ، وصاحب المكانة التي يقدرها الخلفاء والعلماء والعامة .

٧. عصره : إن للبيئة التي يعيش فيها الإنسان أثر كبير في بناء شخصيته ونضوجها العلمي والثقافي ، وعليه : فلا بد من التطرق إلى عصر الإمام الشريف أبي جعفر من الناحية السياسية ، والاجتماعية ، والعلمية .

أولاً : الحالة السياسية :

عاصر الإمام ثلاثة من خلفاء بني العباس وهم :

١. القادر بالله ، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، ولد ٣٣٦ هـ ، بويع له بالخلافة بعد خلع الطائع سنة ٣٨١ هـ ، وتوفي سنة ٤٢٢ هـ ، دام حكمه إحدى وأربعين سنة (٢).

(١) ينظر : المنتظم ٢٩٥/٨ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢٦/١ - ٢٧ ، المنهج الأحمد ٣٩٣/٢ - ٣٩٥

(٢) ينظر : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٣ - ٣٨٧ .

٢. القائم بأمر الله ، أبو جعفر عبد الله بن القادر ، ولد ٣٩١ هـ ، بويح بالخلافة عند موت أبيه سنة ٤٢٢ هـ ، توفي سنة ٤٦٧ هـ ، دام حكمه ٤٥ سنة (١) .

٣. المقتدي بأمر الله ، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، بويح له بالخلافة عند موت جده ، وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر سنة ٤٦٧ هـ ، وتوفي سنة ٤٨٧ هـ ، مدة خلافته تسع عشرة سنة (٢) ، وهو من بايعه الشريف أبو جعفر .

واتسمت هذه الفترة التي عاش فيها الشريف أبو جعفر بضعف الخلافة العباسية مما أدى الى حصول اضطرابات وشغب ، وكان الخلفاء أنفسهم تحت سيطرة قادة الجيش ، أو تحت سيطرة الوزراء الذين كانوا يصرفون شؤون الدولة . مما أدى الى أن بعض الأقطار الإسلامية أخذت تستقل عن بغداد مركز الخلافة الإسلامية شيئاً فشيئاً . وأصبحت الدولة الإسلامية عبارة عن إمارات متعددة مستقلة ، وكانت علاقات هذه الإمارات مع الخلافة أحياناً طيبة ، وأحياناً سيئة . فأضحت الخلافة الإسلامية اسماً لغير مسمى . وهذا كله أدى الى توقف حركة الفتح الإسلامي بحيث اقتصر الجهاد على الدفاع عن الثغور لرد غارات المعتدين .

ومن أسباب عرقلة الجهاد الصراعات الداخلية الفكرية ، والصراعات السياسية ، وعدم وجود خليفة قوي ، وكذلك انتشار الأفكار الدخيلة ، وانشغال الناس بمصالحهم الخاصة (٣) . فكانت الخلافة العباسية في تلك الفترة خلافة ضعيفة لا تقوى على رد أعدائها ، أو من خرج عليها من ولايتها ومن رعايتها ، فكانت خلافة إسلامية مقيدة بالدخلاء .

ثانياً : الحالة الاجتماعية :

كان لاضطراب الحالة السياسية أثره الواضح على الحالة الاجتماعية في القرن الخامس الهجري ، حيث أصبح المجتمع طبقات متعددة ، تتسم العلاقة فيما بينهم بالاختلال وعدم التوازن ، وكان سببه ترف الخلفاء ، والأمراء والسلطين مقابل الفقر والحاجة وانتشار الأمراض والأوبئة بين أفراد المجتمع .

(١) ينظر: تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٨ - ٣٩٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص ٣٩٢ - ٣٩٥ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه .

كما ظهر الفساد والانحراف والانحلال الخلقي في قصور بعض الأمراء ، وشاع بين العامة خرق كثير من أحكام الشريعة الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف ^(١).

وكان أصحاب السلطة وكبار رجال الدولة البارزين يطلق عليهم (الخاصة) ، كالأشراف والوزراء والقادة والكتاب والقضاة والعلماء والأدباء لهم باب خاص لمقابلة الخليفة يسمى (باب الخاصة) ، وكان العلماء لهم احترامهم الخاص بين الناس وتقديرهم ، وذلك لأن الحركة العلمية كانت نشيطة .

وكان أهل الذمة من اليهود والنصارى يتمتعون بكثير من سياسة التسامح وحسن المعاشرة والجوار الإسلامية ، ويقيمون شعائرهم في امن وطمأنينة في ظل الحرية الإسلامية وكل في مكانه . وأصحاب العمل يمارسون عملهم ويتقاضون أجورهم ، ويدفع عنهم الظلم إذا ظلموا وينصرون إذا بُغي عليهم . وهذا كله جزء من أخلاق الإسلام التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف .

وكانت العناصر التي يتكون منها الشعب عموماً :

- ١- العنصر العربي : وهو الأساس ، والغالبية من الشعب .
- ٢- العنصر التركي : وهو العنصر الذي شكل طبقة جديدة في عهد المعتصم ، فكثرت عددهم ، واشتد خطرهم ، وعظم نفوذهم ، فعاثوا بالبلاد فساداً . وأصبحوا خطراً يهدد الخلافة الإسلامية والخلفاء .
- ٣- الفراغنة ^(٢) والفرس : وهم الذين استعان بهم بعض الخلفاء من أجل التخلص من خطر الأتراك . فصاروا هم خطر آخر على الخلافة والخلفاء ^(٣).

^(١) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ١٧٢ - ١٨٧ ، تاريخ الإسلام السياسي ٤٢١/٣ - ٤٢٥ .

^(٢) فرغانة : هي قرية من قرى مرو ، وهي مدينة عظيمة متاخمة لبلاد تركستان ، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة . ينظر: معجم البلدان ٢٥٣/٤ .

^(٣) ينظر: التاريخ الإسلامي ٥٧٩ .

ثالثاً : الحالة العلمية والثقافية :

لم تتأثر الحياة العلمية بالاضطرابات السياسية أو الاضطرابات الاجتماعية تأثراً كبيراً سوى على التعصب في الرأي ، وظهور النزاعات بين الأفكار الإسلامية . ومع ذلك كانت الحركة العلمية تسير متقدمة نحو الأفضل والأحسن . وكان هذا العصر أكثر العصور ازدهاراً وأغناها علماً وأوفرها تأليفاً . والسبب أن هنالك حواضر أخرى ظهرت وصارت تتباهى في تجميل مواطنها بالعلماء والأدباء وتتفاخر بهم . فلم تعد بغداد مركزاً لخلافة تتفرد بالعلم والمعرفة ، ولكن هناك غيرها من المدن التي لها نصيب وافر من العلم . حيث ظهرت القاهرة ، ودمشق ، وبخارى ، ونيسابور ، وبلاد الأندلس . إذ ازدهرت فيها مختلف العلوم والآداب بفضل تشجيع الخلفاء والسلطين والأمراء ، وتنافسهم في انتشار المدارس والمكتبات ، فضلاً عن بناء المساجد التي كانت تقام فيها حلقات العلم^(١).

وقد أدى هذا الاهتمام الى نبوغ عدد غير قليل من العلماء ، فانتسعت حركة التأليف ، وصنف العلماء في مختلف العلوم والفنون والآداب والمعرفة ، مثل التفسير والحديث والأصول والفقه واللغة والطب والفلك والتاريخ وغير ذلك من العلوم والمعارف . وبجانب إنشاء المدارس كانت تبنى المكتبات التي كانت تضم الآلاف من الكتب العلمية والموسوعات العلمية والأدبية .

ولم ينحصر التحصيل العلمي في جانب واحد ، بل تعددت وسائله منها الرحلات العلمية . فقد كان العلماء يجهدون أنفسهم في هذه الرحلات مع صعوبة وسائل النقل . وأدت رحلاتهم من بلد لآخر الى زيادة نشاط الحركة العلمية والثقافية والأدبية ، ووسع مدارك التفكير لدى العلماء والأدباء ، وتعمقوا في فهم الحقائق من خلال تبادل وجهات النظر^(٢).

فانتشرت الثقافة الإسلامية في هذا العصر انتشاراً واسعاً يدعو الى الإعجاب ، وكانت هناك عدة مراكز للثقافة جذبت إليها رجال الأدب .

(١) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٣٣١ ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ١٤٧ وما بعدها .

(٢) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٠ وما بعدها .

وقد اتسعت آفاق الفكر الإسلامي في عهد العباسيين اتساعاً كبيراً من حيث البحث والتأليف والترجمة حيث كانت على درجة عالية من النضج مما أدى الى اتساع ونشاط الحركة الفكرية وانتعاش الثقافة .

ومما سبق : يتضح أن عصر الإمام الشريف أبي جعفر أثر في شخصيته تأثيراً واضحاً ، وظهر ذلك جلياً في حياته العلمية والدعوية . فقد أدى هذا الى إبراز شخصية الشريف على أرض الواقع ، فدفعه للتأليف في الفقه ، والدفاع عن مذهبه ، والاستدلال لآراء المذهب . والتأليف في فضائل الإمام أحمد وترجيح مذهبه . وكذلك نراه قد دافع بشدة عن عقيدته في المساجد ، وبين الناس ، وعند السلطان . فكان تأثير العصر الذي عاش فيه الشريف أبي جعفر عليه تأثيراً ايجابياً على علمه وعمله ومؤلفاته وتلاميذه .

(المبحث الثاني : سيرة الإمام أبي جعفر الهاشمي العلمية)

١. شيوخه : إن الشريف أبا جعفر عاش حياته محباً للعلم والعلماء وملازماً لهم ، وأخذ عنهم علوم الشريعة ، أذكر منهم ^(١) :
١. القاضي أبو يعلى : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء ، القاضي الكبير إمام الحنابلة ، كان عالم زمانه وفريد عصره ونسيج وحده وقريع دهره عنه انتشر مذهب الإمام أحمد ، توفي سنة : ٤٥٨ هـ ^(٢) .
٢. أبو القاسم بن بشران : عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشران الأموي البغدادي ، صاحب الأمالي ، وراوي سنن الدارقطني عن المصنف ، توفي سنة : ٤٣٠ هـ ^(٣) .
٣. أبو محمد الخلال : الحسن بن محمد بن الحسن بن علي البغدادي ، خرج المسند على الصحيحين ، وجمع أبواباً وتراجم كثيرة ، توفي سنة : ٤٣٩ هـ ^(٤) .

^(١) ينظر : طبقات الحنابلة ٤٣٩/٣ .

^(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٨٩/١٨ - ٩١ ، المنهج الأحمد ٣٥٤/٢ - ٣٦٨ .

^(٣) ينظر : تاريخ بغداد ٤٣٢/١٠ ، سير أعلام النبلاء ٦٠/١٨ ، طبقات الحنابلة ٢٣٧/٢ .

^(٤) ينظر : تاريخ بغداد ٤٢٥/٧ ، سير أعلام النبلاء ٥٩٣/١٧ .

٤. أبو إسحاق البرمكي : إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، كان ناسكاً زاهداً فقيهاً مفتياً قيماً بالفرائض ، توفي سنة : ٤٤٥ هـ (١) .
٥. أبو طالب العشاري : محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن الفتح ، كان من الزهاد ، توفي سنة : ٤٥١ هـ (٢) .
٦. أبو علي : الحسن بن علي بن محمد بن المذهب التميمي البغدادي ، الإمام الواعظ العالم مسند العراق ، وكان صاحب حديث ، توفي سنة : ٤٤٤ هـ (٣) .
٢. تلاميذه : كان الشريف أبو جعفر ينشر العلم الشرعي ويدرسه ، وكان ميدانه المسجد فظل يدرس في المساجد حتى آخر حياته ، وكان له الكثير من التلاميذ أذكر منهم :
١. الحلواني : محمد بن علي بن محمد بن عثمان ، الفقيه الزاهد ، توفي سنة : ٥٠٥ هـ (٤) .
٢. القاضي أبو الحسين : محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء ، ابن القاضي أبي يعلى ، توفي سنة : ٥٢٦ هـ (٥) .
٣. أبو بكر الأنصاري : محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الخرجي السلمي الأنصاري ، توفي سنة : ٥٣٥ هـ (٦) .
٤. ابن المخرمي : المبارك بن علي بن الحسين بن بندار ، أبو سعد القاضي البغدادي المخرمي الفقيه ، توفي سنة : ٥١٣ هـ (٧) .

(١) ينظر: طبقات الحنابلة ٣/ ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٨ ، المقصد الأرشد ٢/ ٤٦٩ .

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٠ - ٦٤٣ .

(٤) ينظر: طبقات الحنابلة ٣/ ٤٧٦ ، المقصد الأرشد ٢/ ٤٧٣ .

(٥) ينظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٣ ، المنهج الأحمد ٣/ ١٠٦ - ١٠٨ .

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣ - ٢٧ .

(٧) ينظر: طبقات الحنابلة ٣/ ٤١٨ ، المنهج الأحمد ٣/ ٧٦ - ٨٠ .

٣. مؤلفاته : للشريف أبي جعفر مؤلفات عدة في علوم شتى ، ولم يتم العثور عليها ، أما لضياعتها ، وإما أنها لم تطبع وباقية مخطوطة لحد الآن ، ومن أهم كتبه هي :
١- أدب الفقه ، وهو جزء ^(١) . وهو مفقود .

٢- بعض فضائل الإمام أحمد وترجيح مذهبه ^(٢) . وهو مفقود .

٣- رؤوس المسائل في الخلاف على مذهب الإمام المبجل احمد بن حنبل ^(٣) .
ولكنه لم يطبع ومازال مخطوطا لحد الآن ^(٤) .

٤- شرح المذهب ^(٥) . وهو كتاب مفقود .

٤. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

كان الشريف أبو جعفر الهاشمي عالماً فقيهاً ، ورعاً عابداً زاهداً ، قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم . مقبولاً من العامة والخاصة إذ نراه عالماً معلماً ، محارباً للبدع ، منكر للمنكرات بيده ولسانه ، مجتهداً في ذلك كله .

وكان إماماً ورجلاً قلبه قد تعلق بالمساجد ، فليس له ميدان سوى المسجد ، لذلك نراه مدرساً في غالب مساجد بغداد ، ولم يكن له منصب ، ولم يطلب ذلك رغم أنه مقرب من الخلفاء ، ولكنه الزاهد والورع . وكان شيخ الحنابلة في زمانه بلا مدافعة ، لذلك أن الذين أثتوا عليه من الحنابلة ومن غيرهم ^(٦) .

وكان الشريف أبو جعفر على منهج الإمام أحمد ، ومثل موقفه ولم يتنازل عنه . ورفض الاعتزال ، ورفض عقيدة الأشعرية ، فهو حنبلي في الفروع ، وحنبلي في الأصول ، كما هو واضح من حاله . ولم يكن له أي منصب رغم ما كان له من محبة واحترام عند الخليفة العباسي آنذاك .

(١) ينظر: المنهج الأحمد ٣٩٠/٢ ، ذيل الطبقات ٣٣/١ .

(٢) ينظر: المنهج الأحمد ٣٩٠/٢ ، ذيل الطبقات ٣٣/١ .

(٣) ينظر: طبقات الحنابلة ٤٤٠/٣ ، ذيل الطبقات ٣٣/١ ، المنهج الأحمد ٣٩٠/٢ .

(٤) ينظر: ذيل الطبقات ٣٣/١ ، شرح الزركشي ٥٨٩/٧ .

(٥) ينظر: المنهج الأحمد ٣٩٠/٢ ، ذيل الطبقات ٣٣/١ .

(٦) ينظر: المنتظم ٢٤٨/٨ - ٢٤٩ ، سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٨ ، ذيل طبقات الحنابلة ٤٤/١

- ٤٥ ، المنهج الأحمد ٣٩٤/٢ ، النجوم الزاهرة ١٠٦/٥ .

وظل عالماً عاملاً ميدانه الدائم هو المسجد ، إذ ظل مدرساً في مسجده بسكة الخرقى . ثم انتقل لأجل ما لحق نهر المعلى من الغرق الى باب الطاق ^(١)، وسكن درب الديوان من الرصافة قرب جامع المهدي . ودرس بمسجد على باب الدرب ، ودرس بجامع المهدي ، ودرس بجامع المنصور ، وانتقل الى الجانب الشرقي فدرس بمسجد مقابل لدار الخلافة ^(٢).

وقد اتفق العلماء في الشريف أبي جعفر على إمامته وصلاحه وعلمه . وهذا يظهر جلياً من خلال أقوالهم فيه :

حيث قال عنه ابن السمعاني : (الشريف أبو جعفر إمام الحنابلة في عصره بلا مدافعة ، مليح التدريس ، حسن الكلام في المناظرة ، ورع ، زاهد ، متقن ، عالم بأحكام القرآن والفرائض ، مرضي الطريقة) ^(٣) .

وقال فيه ابن خيرون : (مقدم أهل زمانه شرفاً وعلماً وزهداً) ^(٤) .
وقال ابن عقيل الحنبلي : (كان يفوق الجماعة من أهل مذهبه وغيرهم في علم الفرائض) ^(٥).

وقال عنه القاضي أبو الحسين الحنبلي : (كان مختصر الكلام ، مليح التدريس ، جيد الكلام في المناظرة ، عالماً بالفرائض وأحكام القرآن والأصول) ^(٦) .
٥. وفاته :

مرض الإمام الشريف أبو جعفر مرضاً أثار في رجليه فانتفختا . ويقال أن بعض المتفهمة من الأعداء ترك له في مداسه سما .

^(١) هي محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء . ونهر المعلى : نسبة للمعلى وهو

من كبار قواد الرشيد . ينظر: تاريخ بغداد ٩٧/١ ، معجم البلدان ٣٠٨/١ .

^(٢) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ٣٠/١ ، المنهج الأحمد ٣٨٨/٢ .

^(٣) شذرات الذهب ٣٠٣/٥ ، ذيل طبقات الحنابلة ٣٣/١ .

^(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٣٣/١ .

^(٥) المصدر نفسه .

^(٦) طبقات الحنابلة ٤٣٩/٣ .

ويروى : أنه لما اشتد مرضه تحامل بين اثنين ومضى الى باب الحجرة ، فقال : جاء الموت ودنا الوقت ، ما أحب أن أموت إلا في بيتي بين أهلي . فمضى الى بيت أخته بالحريم .

وتوفي (رحمه الله) ليلة الخميس سحر خامس عشر صفر سنة : ٤٧٠ هـ ، وغسله أبو سعد البرداني ، وابن الفتى يوم الجمعة ضحى . وصلى عليه أخوه الشريف أبو الفضل محمد . ولم يبق رئيس ولا مرؤوس من أرباب الدولة إلا حضره . وازدحم الناس على حمله ، وكان يوماً مشهوداً بكثرة الخلق عظم البكاء والحزن ، وكانت العامة تقول : ترحموا على الشريف الشهيد القتل المسموم . ودفن الى جانب قبر الإمام أحمد في مقبرة باب حرب ^(١) .

ولزم الناس قبره يبيتون عنده يختمون الختمات ، ويخرج المتعيشون فيبيعون الفواكه والمأكولات . ولم يزالوا على ذلك حتى دخل الشتاء ومنعهم البرد . ويقال أنه قرئ على قبره في تلك المدة عشرة آلاف ختمة ، ورأيت له منامات كثيرة ومبشرة ^(٢) .

^(١) مقبرة باب حرب خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربل ، معروفة بأهل الصلاح ، وهي منسوبة الى حرب بن عبد الله أحد صحابة أبي جعفر المنصور . ينظر: تاريخ بغداد ١٢١/١ .

^(٢) ينظر: طبقات الحنابلة ٤٤٦/٣ ، ذيل الطبقات ٤٣/١ - ٤٤ ، المنهج الأحمد ٣٩٣/٢ - ٣٩٥ ، البداية والنهاية ١١٩/١٢ ، تذكرة الحفاظ ١١٦٤/٣ .

(الخاتمة)

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافىء مزيده ، ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ﷺ ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين ، وأترضى عن آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين .

بعد أن منّ الله عليّ بإتمام هذا البحث توصلت إلى نتائج أهمها :

١. إن الشريف أبا جعفر هو من كبار فقهاء الحنابلة في العراق ، ترأس الفقه الحنبلي في القرن الخامس الهجري .

٢. إن الشريف أبا جعفر كان من أسباب توسع وانتشار الفقه الحنبلي ، وذلك من خلال تدريسه ، ومناظراته ، وتأليفه ، والدفاع عنه بالحجج والبراهين .

٣. إن الشريف أبا جعفر من الفقهاء المجتهدين في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وأحيانا يخالف فقهاء الحنابلة .

٤. إن الإمام الشريف لا علاقة له بالخلفاء العباسيين ولم يتقرب منهم ، ولم يتسلم أي منصب ، بالرغم من أنه من بني العباس ، بل كان ناصحا لهم ولا يخشى في الله لومة لائم .

٥. كان للإمام الشريف مكانة علمية متميزة ، وكان صاحب حظوة بين علماء عصره ، وكان عالماً عاملاً ، ورعاً ، زاهداً ، لم يلتفت للدنيا وما فيها مغريات وأموال ، بل زهد في ذلك كله .

٦. إن أغلب مؤلفات الإمام الشريف مفقودة ، وغير موجودة بين أيدينا .

وأخيراً وليس آخراً : فأسأل الله العظيم أن أكون قد وفقت في كتابتي لهذا البحث خدمة لديننا العظيم ، ووفاء لعلماءنا الأجلاء في بلدنا الحبيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه وسلم أجمعين .

(المصادر والمراجع)

١. البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف - بيروت .
٢. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، حسن إبراهيم حسن ، مطبعة النهضة - مصر ، ط ٦ ، ١٩٦١ م .
٣. التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الدكتور أحمد شلبي ، مكتبة النهضة - مصر .
٤. تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، محمد جمال الدين سرور ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ١٩٦٥ م .
٥. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، الدكتور عبد المنعم ماجد ، مكتبة الأنكلو المصرية - القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٣ م .
٦. تاريخ الخلفاء ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار السعادة - مصر .
٧. تاريخ بغداد ، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
٨. تذكرة الحفاظ ، محمد بن طاهر القيسراني (ت ٥٠٧هـ) ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار الصميعي - الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
٩. ذيل طبقات الحنابلة ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان ، مكتبة العبيكان - مكة المكرمة .
١٠. سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٩ .
١١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن العماد الحنبلي أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ) ، تحقيق : محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير - دمشق .

١٢. شرح الزركشي على مختصر الخرقى ، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٧٢هـ) ، تحقيق وتخريج : عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ، دار الإفهام - الرياض .
١٣. طبقات الحنابلة ، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين (ت ٥٢١ هـ) ، تح محمد حامد النفسي ، دار المعرفة - بيروت .
١٤. معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، دار الفكر - بيروت
١٥. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، إبراهيم بن محمد بن عبد الله برهان الدين (ت ٨٨٤ هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان ، مكتبة الرشد - الرياض ، ١٩٩٠ م .
١٦. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، علي بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
١٧. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، مجيد الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي أبو اليمن (ت ٩٢٨ هـ) ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار صادر - بيروت .
١٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - مصر .